Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مبتدعة لنظمها، بانية لأنساقها. وهي المتصرّفة في الكلمات وما تخبر عنه بها. ومثالها في ذلك أنها تجري على غير مثال.

أمّا التاريخ، فهو على خلاف ذلك. إنه حلول في الكلمات وظهور بالأشياء. ولذا كان ممثّلاً لصوت الأموات من وراء القبور. فكم من ميّت يتسلّط به على الأحياء، ويمارس هيمنته فيهم. غير أن الكتابة تستنقذه مما هو فيه، إذ تجعله لقوانينها، ونظمها، وأنساقها خاضعاً. فيكف، والحال كذلك، عن أن يكون تسجيلاً لوقائع أحداث الأناسي في الماضي، ليصبح كتابة تسجل ذاتها وتعاصر مكتوبها. ولذا، فهو بها يصير إلى تغيره، وتبدله، وتحوّله لا محالة. ذلك لأن الكتابة غزو مستمر للكلمات، وتطوير لها وتغيير. إنها تعطيها من المعاني ما لا يقع حصره في قاموس، وتخرجها عن المألوف وتحرفها. وهي لا تكف عنها تطريقاً حتى تجعلها في اللغة الواحدة معانٍ كثيرة، وفي اللغات صوراً لا حصر لها. وما كان هذا ليكون إلا لأن الكتابة تعبير بالعلاقات كما أشرنا. ثم إنه لولا هذا لتصنمت الكلمات، ولصارت تأريخاً لا كتابة، ولتعطّلت اللغات فلم يعد من ممكنها أن تبدع تطورها الخاص، ولعجزت نظمها وأنساقها عن إنجاب نص وتوليده، ولتشيّأت، فتكون لها نهاية تربطها بقوانين الإبادة التي تصنع من الأشياء أوابداً.

ونخلص مما تقدم إلى نتيجة تدور على نقطتين:

1 ـ إن التاريخ محتاج إلى الكتابة لكي يبني بها ذاكرته ويثبتها. والكتابة تأتيه من باب حاجته هذه فتغازله وتغويه. ولقد تظل به دائرة حتى يسلم إليها قياده. فإذا استحوذت عليه، سارت به، خلافاً لما يروم، نحو ضربين من النسيان، ضروريين لحدوثها وحصولها: الأول، ويتعلّق بدلالة الكلمات التي تستعمل. الثاني، ويتعلق بالنظام